المبحث الثالث

العلاقة بين مناسبة الفاصلة وسياق آياتها

كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ۝١١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾[1] نجد في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ انتهت الآية بقوله: ﴿لَا يُفۡتَنُونَ ﴾، هي جزء من جملة

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٧.

حالية[1]، وعلاقة الفاصلة بالسياق (التمكين)[2]، حيث لا يتم المعنى إلاّ بهما، فلو حذفت الفاصلة وقيل: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ لم يفهم المراد من الآية، ولكن تم المعنى حينما قال: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. واختيرت الفاصلة (يفتنون) دون غيرها؛ وذلك لمناسبة شديدة بين عمق معنى الفتنة وسياق الآية، فالفتنة تقوم على بيان القلوب الخالصة من غيرها؛ «كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وهذا أصل الكلمة اللغوي، وله دلالته وظلله وإيماؤه»[3].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، لقد ورد القسم الثاني من الآية غير مطابق للأول، فلم يقل تعال في فاصلة الآية: (الذين كذبوا)، نحو: (الذين صدقوا)[4]؛ أولاً: مراعاة للفاصلة النونية في الآيات، وثانياً: التعبير بصيغة الماضي في الصادقين، وبصيغة اسم الفاعل مع الكاذبين؛ لأنه يفهم من اسم الفاعل، الرسوخ في الفعل، ولا يعطي الفعل الماضي هذا المعنى.

ونجد إنّ علاقة الفاصلة بالآية (التوشيح)[5]؛ لأنّ أول الكلام ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٣٥/٧؛ والتحرير والتنوير: ٢٠٣/٢٠، مجلد ١٠.

(٢) ينظر: البرهان: ٧٩/١.

(٣) في ظلال القرآن: ٢٧٢٠/٥.

(٤) ينظر: الإتقان: ٦٧٨.

(٥) التوشيح معناه: هو «أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تُعرف منها قبل قراءتها» والفرق بينها وبين التصدير: أنّ التوشيح دلالته معنوية، أمّا التصدير فدلالته لفظية. ينظر: من أسرار التعبير: ٤١.

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ يدل على آخره: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾. ولا نظن الذين عملوا السيئات أنهم سيفرون من عقاب الله: قال ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾، فعبّر بالمضارع (يحكمون).

قال أبو حيان: «إشعاراً حكمهم مذموم حالاً واستقبالاً، وقيل: لأجل الفاصلة وقع المضارع موقع الماضي اتساعاً»[1].

فعلاقة الفاصلة ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ بالآية (التوشيح)، حيث إنها مقرّرة لمعنى الإنكار في الآية[2]، فإنّ ظنهم الإفلات من عذاب الله حكم باطل ساقط.

ونجد علاقة الفاصلة في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بسياق الآية الكريمة فإنه يتضمن (الإيغال)[3]؛ لأنها أفادت معنىً جديداً بعد تمام معنى ما قبلها. قال ابن عاشور: «وقع التذييل بوصفي ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ دون غيرهما من الصفات العُلى للإيماء بوصف (السميع) إلى أنّ الله تعالى سمع مقالة بعضهم من الدعاء بتعجيل النصر... والإيماء بوصف (العليم) إلى أنّ الله علم ما في نفوسهم من استعجال النصر»[4].

ونجد علاقة (الإيغال) ترتبط فاصلة الآية الثانية عشر بما قبلها، فمنها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ فهم أنهم كاذبون؛

---

(١) البحر المحيط: ١٣٧/٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٧/٢٠، مجلد ١٠.

(٣) الإيغال هو تجاوز المتكلم المعنى الذي هو أخذ فيه؛ وبلغ إلى زيادة على الحد. ينظر: الفاصلة في القرآن: ٢٩١.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٠٩/٢٠، مجلد ١٠، بتصرف.

فجاءت الفاصلة (إنهم كاذبون) بدل اشتمال من الجملة السابقة زيادة في تأكيد كذبهم في ادعائهم حمل أوزار غيرهم[1].

وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]، فإنّ الكلام قد تم بقوله: (من أحسن من الله حكماً)، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنىً زائداً[3].

ويتضح في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ علاقة الفاصلة بالتوشيح حيث إنّ الفاصلة في قوله: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تهديد بما سيكون بعد الرجوع إلى الله، بدليل أنه لم يذكر اسمه -جل جلاله- حتى لا يظنّ العفو، فهو حاضر يعلم ما يفعلون، ولا ينسى، فسينبئهم بما كانوا يعملون[4].

ويستشهد للتوشيح ابن أبي الإصبع لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾[5] حيث يُعرفه قائلاً: «سمي هذا الباب توشيحاً، لكون أول الكلام يدل على لفظ آخره، فيتزل المعنى منزلة الوشاح، ويتزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح»[6].

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ٢١٩/٢٠، مجلد ١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٣) ينظر: البرهان: ١٨٧/٣.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٣٣/٢٥ ، ونظم الدرر: ٥٣٩/٥.

(٥) سورة يس، الآية: ٣٧.

(٦) تحرير التحبير: ٢٢٨.

ويتبع السيوطي خُطى ابن أبي الإصبع، وينقل رأيه قائلاً: لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء: التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال»[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، فإنّ اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين، وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾[3]، فإنه ما كان حافظاً لهذه السورة، متيقظاً إلى مقاطع فواصلها النون المردوفة، وسمع في صدر هذه الآية ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ علم أنّ الفاصلة ﴿مُّظْلِمُونَ﴾، فإنّ من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال[4].

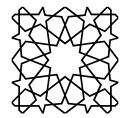

(١) معترك الأقران: ٢٣/١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٧.

(٤) ينظر: البرهان: ٩٥/١.